عنف العصابات عالمياً:
السياق والثقافة والبلد

عنف العصابات مشكلة عالمية في الوقت الراهن. فالعصابات التي انحصر وجودها يوماً على عدد ضئيل من مدن الولايات المتحدة، امتدت الآن على مدى القارات الست. وانتشار العصابات أمر يبعث على القلق لاقترانه على الخصوص بزيادة أعمال العنف والجريمة. والعصابات تعكس ثقافة البلد وسياقه اللذين تنشط فيهما رغم وجود اختلافات هامة بين البلدان والمناطق.

مستويات العنف تتوقف على ميل العصابات لاستخدام الأسلحة النارية.

يركز هذا الفصل اهتمامه حصراً بعنف العصابات عالمياً، ويولي اهتماماً مخصوصاً بدور الاسلحة النارية في أعمال عنف التي تجترحها العصابات وأفرادها. الفصل يخلص إلى عدة استنتاجات، وهي:

العضوية في العصابات عامل خطر رئيسي في تفشي العنف والتعرض للإيذاء..

- عنف العصابات موجه عادة ضد أعضاء العصابات الأخرى.
- معدلات جرائم قتل العصابات تتجاوز الى حد كبير معدلات الجريمة عند عامة السكان.
- توافر الأسلحة النارية في بلد ما له تأثير قوي على وصول هذه الاسلحة الى العصابات وعلى استخدام أفراد العصابات لها.
- رغم ما ينطوي عليه نشاط العصابات من فروق في مختلف المناطق، فإن دوافع عنف العصابات متماثلة أكثر مما هي مختلفة.

تاريخياً كان ينظر إلى العصابات باعتبارها مشكلة تتركز في قلب الأحياء الفقيرة لمدن الولايات المتحدة. وقد عفا الزمن الآن على وجهة النظر هذه لعدم انطباقها على الحقائق. فقد جرى تكييف أنماط عصابات الولايات المتحدة، التي يعود انتشارها في جزء كبير منه للتأثير الثقافي، وفقاً للظروف الثقافية والمجتمعية لمختلف القارات الخمس، ففي الوقت الحالي نجد عصابات في أفريقيا في أمريكا

أعضاء من مختلف الكنائس والمنظمات الاجتماعية يشاركون في مسيرة الشعلة في سان بارتولو للدعوة من أجل السلام ووضع حد للعنف. السلفادور، سبتمبر/ أيلول ٢٠٠٦. © يوري كورتيز/اف ب

الشمالية والجنوبية والوسطى وفي أوروبا وآسيا واستراليا. وعلى الرغم من أن افضل توثيق للعصابات، حضوراً ونشاطاً، ما زال يحدث في الولايات المتحدة، إلا أن هنالك بينات قوية على امتلاك العصابات وجوداً عالمياً.

هنالك عواقب مباشرة وغير مباشرة لنشاط العصابات. وتتمثل النتائج المباشرة بشكل أكثر وضوحا في المعدلات العالية للغاية العنف داخل العصابات وما بينها. وفي الغالب الأعم تقدر معدلات جرائم القتل التي تقترفها العصابات في مدن الولايات المتحدة بما يصل إلى ١٠٠ مرة من معدلات القتل عند عامة السكان. ويقرن الانتشار الواسع لتوافر الأسلحة النارية في الولايات المتحدة بهذا المستوى المرتفع للغاية من العنف. وفي السياق الأوروبي الذي تكون فيه الأسلحة النارية أقل توفراً للشباب والجناة، فإن معدلات العنف المميت (وبالطبع ليس أشكالاً أخرى من الاعتداءات) هي أقل من ذلك بكثير. أما عنف العصابات في البلدان التي عانت من اضطرابات سياسية وفيها أسواق كبيرة للمخدرات ومرت بحروب أهلية، فيتميز بارتفاعه الشديد. إن عدم وجود هيكل اقتصادي وسياسي مستقر، بالإضافة إلى توافر أسلحة نارية فتاكة، يؤججان مستويات عنف العصابات إلى حد يعادل أو يتجاوز مستويات العنف في الولايات المتحدة. وتتجلى هذه الظروف بشكل واضح في أمريكا الوسطى ودول افريقية عدة.

وتبدي عصابات العالم عدداً من الخصائص المشتركة. ومن أقوى هذه الخصائص العمليات الاجتماعية التي يحدث من خلالها عنف العصابات. وتتصف هذه في الغالب بصفة الانتقام، إذ ينتشر عنف العصابات انتشاراً معدياً ووبائياً، إذ يتعاضد أفراد العصابات ويحددوا أهدافهم الجديدة من خلال عملية جماعية، الأمر الذي يتسبب في تواصل دورات العنف إلى حين وقوع تدخل رسمي أو غير رسمي. وأياً كانت الأسلحة التي يستخدمها أفراد العصابات، أسلحة نارية أو سكاكين أو عصياً غليظة، فإن هذه العملية تمتاز بتشابه قوي عبر الثقافات والبلدان والسياقات.

عنف العصابات غالبا ما يظهر عَرضياً، يتناوبه المد والجزر.

ويتجلى مفتاح فهم عنف العصابات في إدراك حقيقة بأنه لا يحدث في فراغ. فبالإضافة إلى رد فراد العصابات على الحوادث اليومية بالعنف، فهم ينفعلون أيضاً بعوامل هيكلية أوسع ترتبط بأحيائهم ومدنهم وبلدهم. ويتميز الاستبعاد الاجتماعي، على وجه الخصوص، بتأثير بالغ الأهمية على تشكيل ثقافة الشباب التي يقترن بها حضور العصابات في كثير من البلدان. والواقع أن الفقر واختلال المجتمع المحلي والهجرة، وغيرها من العوامل الأخرى، تلعب دوراً «خلفياً» مركزياً في تشكيل العصابات. والشرط الأساس لفهم عنف العصابات هو تقدير دور هذه العوامل الهيكلية حق قدرها.

كما أنه من الضروري العمل على تطوير فهم أشمل لسياق العصابات في خارج الولايات المتحدة. فالكثير من فهمنا للعصابات في السياق العالمي في بدأته الأولى. ولا يقدم هذا الفصل سوى لمحة عن عنف العصابات في سياق عالمي. ولئن ثمة كثير ما يقتضي تعلمه، فهنالك أساس قوي لبناء معرفة مستقبلية.